هدية متواضعة من المترجم الى صاحب المعالي السيد حسن تقي زاده رئيس مجلس الاعيان الايراني ، اعترافا بفضل معاليه على النهضة العلمية والادبية في ايران

الوزير المفوض للسفارة العراقية في طهران

١٥ شعبان ١٣٧١
١٠ آيار ١٩٥٢

رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠

« قصة المقيمية فى كردستان ، وفى موقع نينوى القديم مع عرض لسياحة »
« مع مجرى دجلة الى بغداد وتقرير فى زيارة (شيراز) و (بەرسه بولس) »
طبعتها ارملته عام ١٨٣٦

الجزء الاول

كلوديوس جيمس ريج

ممثل شركة الهند الشرقية ، والمقيم البريطانى فى بغداد
فى اوائل القرن التاسع عشر

نقلها الى العربية

بهاء الدين نوري

طبع بمطبعة السكك الحديدية ـ بغداد ـ ١٩٥١

محتويات الكتاب

بك ـ معسكر فى احمد كلوان ـ الحاصدون يتغنون بفرهاد وشيرين ـ الجراد درجه ـ حرارة الينابيع ـ الضفادع الخضر ـ لعبة غريبة ـ الرحيل من احمد كلوان ـ السفر الرحيل من بيستان ـ بنجوين ـ مضارب الجاف ـ الجماعات الرحالة ـ سيدة الى بيستان ـ الطنوف الاصطناعية ـ بيستان غير صحية ـ مرض جماعتى كلهم ـ وخدمها ـ اليهود .

الفصل السابع : الصفحات ١٣٠ ـ ١٥٦

الدخول الى ايران ـ بحيرة (زەرى بار) ـ كيخسرو بك ـ مضارب الجاف ـ مباراة الجريد ـ عبور جبل (زغروس) ـ قرويو (كەرران) ـ شتاء قارص ـ نزاع بين الجاف ـ سنه ـ فطور فخم ـ القصر ـ استبداد والى سنه ـ الحداد العام ـ الثورة ـ وفاة ابن الوالى ـ قنوط الوالى وقسوته ـ خوف رعيته ـ تغيير فى خطتنا ـ فزع وزراء الوالى ـ استعطاف المجلس ـ نجاح المجلس ـ فرحهم وامتنانهم ـ الرحيل من سنه الى مضرب الوالى .

الفصل الثامن : الصفحات ١٥٧ ـ ١٧٢

الرحيل عن (سنه) ـ مناظر الارض ـ خيام كولانه ـ ساسة الاكراد العظماء ـ نهر قيزيل (اوزون) ـ المضارب ـ ملاحظات قروى ـ سلوك الجاف غير القانونى ـ طريق ناهد ـ مرطبات من العسل والزبدة ـ الوصول الى قرية ميك ـ السيدة ريج تؤخذ الى قرية اخرى ـ خلايا النحل ـ التحاق السيدة ريج بنا ـ هدية فواكه من الوالى ـ الوصول الى بانه ـ نجل الوالى ـ فواكه يانعة .

الفصل التاسع : الصفحات ١٧٣ ـ ١٩٠

زيارتنا لوالى سنه ـ قلعة بانه ـ حديث الوالى ـ زواج ابنه ـ الوالى يرد زيارتى ـ قسوته فى بانه ـ التهيؤ للرحيل ـ عوائق غير منتظرة ـ صعوبة الحصول على دواب الحمل ـ اعتذار الوالى ـ سلطان بانه ـ بدء مسيرنا ـ رئيس القرية ـ رفضه السماح لنا باستمرارنا على المسير ـ موقف سيء ـ القرار لشق طريقنا قتالا ـ خوف رئيس القرية ـ سماحه لنا بالمسير ـ جبال ـ دخول منطقة البابانيين ـ اتباع عمر اغا ـ خرائب قالاجوالان ـ فواكه يانعة ـ تلال هدود ـ الوصول الى السليمانية .

الفصل العاشر : الصفحات ١٩١ ـ ٢١١

فشل التطعيم ضد الجدرى ـ وفاة عثمان بك ـ حزن الباشا ـ المواقع الاثرية فى شهرزور ـ اسكندر الكبير والاميرة الهندية ـ اسماء المناطق ـ عمر اغا ـ اضطهاده وحبسه ـ تعلق اتباعه به ـ نزاهته ـ كراهيته لعثمان بك ـ رحمة الله التاتار ـ رحلته فى الجبال المنيعة المنقطعة التى تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين ـ العمادية ـ نصيحة الباشا الى التاتار ـ متاعبه ومخاطره ـ المضارب الكلدانية ـ خبز الرز ـ دهشة الكلدانيين لرؤيتهم رحمة الله بينهم ـ ازدراؤهم لمحمد ـ اليزيديون ـ مدينة وان ـ اسماء القبائل الكردية ـ حفلة عرس ـ السيدات يرقصن ـ مقام المرأة الكردية ـ لباس الرجال ـ قصة دارەشمانه ـ شيخ بابانى جليل .

الفصل الحادى عشر : الصفحات ٢١٢ ـ ٢٣١

انتهاء الجزء الاول

الفصل الثانى عشر : الصفحات ٢٣٣ ـ ٢٥٣

الملحق الاول

الصفحات ٢٥٤ ـ ٢٧٥

الملحق الثانى

الصفحات ٢٧٦ ـ ٣٠٧

الملحق الثالث

الصفحات ٣٠٨ ـ ٣١٤

فهرست الالواح والرسوم

كلمة المترجم

١

كان نقل هذه الرحلة الى العربيـة ، الثمرة الثانيـة من ثمرات اوقات الفراغ التى اتسعت للمترجم بسخاء فى اواسط عام ١٩٤٤ وما بعده ، وكانت الثمرة الاولى كتاب (جنكيز خان) (١) الـذى نقله من الانكليزية ايضـا . وهناك ثمرات اخرى ارجو ان ينفسح لها مجال النشر ؛ من بينها ترجمة الجزء الثانى لهذه الرحلة وترجمة كتاب (النجاة من الرق) لمؤلفه المربى الكبير الزنجى الامريكى (بوكەر واشنطن) وقد نقله من التركية ، وترجمة كتاب (سرانجام) وهو احد الكتب المتداولة بين (أهل الحق) (٢) .

طبعت اصل هـذه الرحلة ارملة المستر ريج عام ١٨٣٦ ، وذلك بعـد وفاته بخمسة عشر عاما ، وقد جاءت الرحلة بعنوان مطول هو :

« قصـة المقيمية فى كردستان ، وفى موقع نينوى القـديم ، مع عرض لسيـاحـة مع مجـرى دجلـة الى بغـــداد ، وتقـرير فى زيارة شـيراز و بەرسه بولس » (٣) .

ولما كانت الرحلـة تمس الاحوال الاداريـة والسياسيـة والعشـائرية والاقتصادية فى البلاد العراقية ، بكيانها السياسى الراهن ـ وقسم من البلاد المجاورة لها ـ استحسن المترجم تسميتها بـ : ـ

(رحلة ريج فى العراق عام ١٨٢٠) .

---

(١) جنكيز خان ـ امبراطور الناس كلهم . لمؤلفه هارولد لامب ، ترجمة اللواء بهاء الدين نورى ، مطبعة السكك الحديدية العراقية ـ بغداد ١٩٤٦ .

(٢) راجع الصفحة ٥٤ من كتاب (الكاكائية فى التأريخ) للمحامى عباس العزاوى ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ـ بغداد . ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .

(٣) NARRATIVE OF A RESIDENCE IN KURDISTAN AND ON THE SITE OF ANICENT NINEVEH, WITH JOURNAL OF A VOYAGE DOWN THE TIGRIS TO BAGHDAD AND AN ACCOUNT OF A VISIT TO SHIRAUZ AND PERSEPOLIS.

BY THE LATE, CLAUDIUS JAMES RICH ESQRE, EDITED BY HIS WIDOW.

LONDON. JANES DUNCAN PATERNUSTER ROW. MDCCCXXXVI.

نشر الاستاذ السيد عباس العزاوى المحامى عام ١٩٤٨ رحلة نقلها عن الفارسية ووسمها بـ (رحلة المنشىء البغدادى) (٤) ، والمنشىء البغدادى هو السكرتير الايرانى للمقيمية البريطانية فى بغداد على عهد المستر ريج صاحب الرحلة ـ وقد رافقه المنشىء البغدادي فى رحلته هـذه ، ولقد كانت هـذه الرحلة رهن الطبع فى الوقت الـذى نشر الاستـاذ العزاوى كتابه ، ولكن ظروفا خاصة أجلت صدورها الى الان ، هذا ومع ان رحلة المنشىء البغدادى او الآغا سيد ـ على حـد تعبير المستر ريج ـ جاءت مختصرة لا تعـدو ان تكون رؤوس اقلام اذا ما اردنا قياسها بهـذه الرحلـة ، فمما لاشك فيه ان الرجـوع اليهـا احيـانا للمقـارنة عنـد مطالعـة رحلة ريج لا تخلـو من فوائد جمة • ويجب التنويه الى ان المنشىء البغـدادى قد اضـاف الى رحلتـه بعض الارقام عن الابعاد بين مكان وآخر لم تستند على رحلات قام بها مع المستر ريج وذلك بين (سنه) و (تبريز) و (مراغه) و (كرمنشاه) ؛ وقد انهى المستر ريج سياحته فى (سنه) وآب منها راجعا الى (السليمانية) و (اربيل) و (الموصل) ومنها بالكلك الى (بغداد) ..

وجاء فى الصفحة (١٠١) من رحلة المنشىء البغدادى :

« وهذه الرحلة لا يكفى اننى اكملت بعض النقص فيها ، وانما يكملها ما كتبه المستر ريج نفسه ، ومما دونه من مـذكرات طبعت بعـد وفاته سنـة ١٨٣٦ م ـ ١٢٥٢ هـ نشرتها ارملته ، ولو نقلت الى العربية لكانت الواحـدة متممة للاخرى • وفى هذه الايام سمعت ان الاستاذ بهاء الدين نورى شرع بالعمل فقوى الامل » ..

ويقول المترجم على ذلك انه يرجو ان يكون بنشره هذه الرحلة عند حسن ظن القراء فى اتمام الغرض العلمى البحت بعض الاتمام • والواجب يقضى على المترجم ان يشير على القارىء الكريم اذا اراد التوسع فى بعض البحوث ، ان يرجع الى كتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) (٥) ، والى كتـاب (بغـداد فى الايام الغـابرة) وهو سجـل حيـاة المستر ريج ولم يترجم بعد (٦) •

(٤) (رحلة المنشىء البغدادى) ، نقلها عن الفارسية عباس العزاوى المحامى ، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م • بغداد ـ الكرخ •

وبمراجعة الصفحة ٢٣٢ نطلع على ان المترجم لم يشأ ان ينهي الجزء الاول من الرحلة كما انهاها المستر ريج بالفصل الحادي العشر ، بل اضاف عليه الفصل الاول من الجزء الثاني ، وهو الفصل الثاني عشر من الرحلة اذ يصل به الرحالة الى (الموصل) ، كل ذلك لاعتقاد المترجم بأن الصفحة الثانية من الرحلة تبدأ بيوميات (ريج) عما شاهده في (الموصل) ونواحيها وما كتبه عنها وعن سفره منها نهرا وبالكلك الى (بغداد) واتمامه رحلته من بعدها .

وبمراجعة عنوان الصفحة ٢٧٦ نعلم ان المترجم اضاف ايضا الى هذا الجزء ملحقا من ملاحق الجزء الثاني ، وهو الباحث في رحلة اخرى قصيرة قام بها المستر ريج الى « اطلال (زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كه‌رو) ... الخ عند حدود كردستان الجنوبية خلال شهري آذار ونيسان ١٨٢٠ » وذلك قبل شروعه برحلته الكبيرة ؛ والفترة بين الرحلتين ثلاثة عشر يوما ـ وياحبذا لو طالع القارىء الرحلة القصيرة قبل الكبيرة ، والمترجم يعتقد ان الاولى جاءت تمهيدا الى الثانية في الواقع والتدوين ...

٣

ومن مطالعة رحلتي ريج يجد القارىء انه تطرق في يومياته بين الفينة والاخرى تطرقا مباشرا وغير مباشر الى شؤون شتى من ادارية وسياسية واقتصادية واتنوغرافية ، والى اساليب الحكم في اجزاء مناطق باشوات (بغداد) و (السليمانية) و (الموصل) وغيرها ، والى العلاقات الدبلوماسية بين السلطتين التركية ـ العثمانية ـ والايرانية التي كانت في حينها متوترة بعض التوتر على قدر اتصالها برغبة بسط النفوذ او الاستيلاء على الحكم غير المباشر على قسم من نواحي الحدود بين المملكتين، نخص منها ما كان في منطقة باشوية السليمانية ، هذا علاوة على مسه طرق السيطرة على السكان

(٥) (اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث) لمؤلفه المستر ستيفن همسلي لونكريك ، ونقله الى العربية جعفر خياط ، مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد . ١٩٤١ م ـ ١٣٦٠ هـ .

FOUR CENTURIES OF MODERN IRAQ. BY STEPHEN HEMSLEY LONGRIGG. OXFORD AT THE CLARENDON PRESS, 1925.

(٦) BAGHDAD IN BYGONE DAYS, BY C. M. ALEXANDER. PUBLISHED BY JOHN MURRY — LONDON.

القبليين والقرويين المتاخمين وغيرهم . ومما دونه المستر ريج وبحث فيه ، يمكن لنا الوقوف على الكثير من الحقائق الادارية الواقعية ، والامور السياسية المهيمنة فى ذلك الحين ، وان ذلك مما يدلنا بعض الدلالة الى ضرورة التعمق فى تلك الموضوعات من مآخذ اخرى كلما بحثنا عنها او تيسرت لنا ...

لقد قابل المترجم المستر لونكريك (٧) فى حفل ايام زيارته قبل الاخيرة لبغداد وكانت على ما يحضر له عام ١٩٤٨ - وسأله عن رايه فيما دونه ريج فى رحلته فلم يجده - وهو مؤرخ دقيق - ميالا الى الاخذ بكل ما كتبه ريج عن الاكراد ، فى الوقت الذى يرى المترجم ان العلامة المستر (ف. مينورسكى - V. Minorisky) - وهو من اعلام الدراسات الشرقية - يستشهد فى بحث له فى (الكوران - The Goran) بما جاء عنهم فى هذه الرحلة . ومهما كان الامر فليس من الصواب ان نأخذ بما جاء فى هذه الرحلة أخذا علميا دون تمحيص وتدقيق ، وذلك لان صاحب الرحلة على فطنته وكفائته وذكائه ونشاطه ، لم يؤم البلاد التى ساح فيها لدراسة شؤونها دراسة متبحر ، وان امها لهذا الغرض فما كان الوقت الذى قضاه فيها كافيا لتحقيق مراميه ، ومن الجهة الاخرى نراه يدعى فى مستهل رحلته ويكرر ادعاءه فى اماكن اخرى منها ، ان الغرض من رحلته هو الراحة والاستجمام ، وبالرغم من ان طلب الراحة والاستجمام لا يمنع المرء من التتبع ، نرى ان رحلته لم تكن خالية من غايات لا نعرفها ؛ اذ اننا بينما نراه يبحث ويناقش امورا ادارية او سياسية مع من كان على اتصال بهم نراه ايضا ينسل من الموضوع ببراعة ومهارة قلما اتصف بها غيره من الرواد البريطانيين الذين اموا هذه البلاد ، والذين كثرت سياحاتهم فى تلك الحقبة من الزمن .

وعلى كل ان ما ورد فى هذه الرحلة من معلومات قد تجلو بعض الغموض للباحثين فى تأريخ البلاد فى ذلك العهد وهو عهد لم تضيئه انوار العلم الا قليلا . والمترجم يعد نفسه سعيدا ان اوفى عمله هذا ببعض الخدمة فى هذا المضمار ، مهما كانت ضئيلة ...

٤

ذكر المترجم فى اعلاه ، انه اراد ان يتمم المرحلة الاولى من الرحلة

---

(٧) راجع الحاشية الرقم (٥) .

بالحاق فصل الجزء الثانى عشر ويمهد لها باضافة ملحق منه الى الجزء الاول ، اعتقادا منه ان هذه المرحلة تنتهى فى الموصل ، وبذلك زاد فى حجم الجزء . وهو يعتذر من الجهة الاخرى عن ارجائه طبع ماكان يرغب فى تدوينه بعض الملحوظات والهوامش الايضاحيـة الى نهاية هـذا الجزء لانه رأى ذلك مما يزيد فى حجمه ايضـا ويزيد فى تأجيل امـد نشـره مـدة اخرى ، وقـد أشير الى مواقع تلك الملحوظات والهوامش بارقام صغيرة حصرت بين قوسين فى النص ومثال ذلك ما ورد منها فى الصفحات ٣ و ١٠ و ١٣ و .... و ٢٠١ و ٢٢٨ ... الخ . هذا ولم يهمل المترجم التعليق باختصار على ما ورد فى هذا الجزء من الرحلة من اغلاط فى اسماء بعض الاماكن والقبائل ، وعلى بعض الطعون فى المعتقدات والمزايا ، ولكنه لم يشاء مطلقا ان يسترسل مطلقا فى هذه التعليقات او الاكثار منها . وهو يرجو ان تصل اليه ملحوظات من القراء ، ليضيفها مع ماعنده على الجزء الثانى عند نشره ونشر الخريطتين المرفقتين بالجزئين والشرح الذى ورد عنهما فى الاصل فى مستهل الجزء الاول . اما السبب الذى دعا المترجم الى تأخير نشر الخريطتين هو اعتقاده بانهما اصبحتا فى يومنا هذا ذات قيمة تأريخية فحسب تنم عن اعمال المستر ريج الشاقة فى سعيه فى المسح لتثبيت بعض المواقع الجغرافية .

واخيرا يشكر المترجم كل من عاونه فى اظهار هذا الكتاب كما هو بين يدى القارىء من الاخوان الافاضل جميعا، ويخص منهم ـ مع حفظ الالقاب ـ الصديق السيد سعيد قزاز متصرف لواء الموصل حاليا الـذى اعاره النسخة الانكليزية هذه المدة الطويلة ـ ونسخ الكتاب نادرة جدا ـ والصديق السيد نجيب رشيد معاون مدير الداخلية العام الذى كانت له المساعدة القيمة فى تثبيت تلفظ الكثير من الاعلام الكردية .

ونتضرع الى الله ان يوفق الجميع الى خدمة البلاد والعلم خدمة صادقة صدوقة فى ظل صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى ، ورعاية وصيه الامين وولى العهد صاحب السمو الملكى الامير عبدالاله المعظمين ..

بغداد ١٥ ايار ١٩٥١

طهاء الدين نوري

ان ما يتضمنه مختصر حياة المستر ريج الذى يلى هذه المقدمة من بحث مما يغنينا عن ذكر شيء فى هذه المقدمة عن سجل حياته ، وناشرة هذا الكتاب مدينة بما جاء فى ذلك البحث الى الطاف صديق ابى ان يذكر اسمه ، وهى لهذا لا يسعها ان تذكر شيئا عنه سوى ان المامه الشخصى بالموضوع وعنايته الكبيرة به مما اهلاه حق الاهلية لاداء المهمة التى تفضل بالقيام بها بناء على طلبها .

ان الجزءين المقدمين الان للقارىء من هذا الكتاب يتضمنان كل ما هو موجود من ثمرة العمل الذى باشر به المستر ريج على قياس واسع جدا والذى من اجله عكف على درس مختلف المواضيع العلمية التى كان يأمل ان يساعده الالمام بها على تحقيق امنيته ، فقد شعر انه ينتظر منه كشخص توافرت له امتيازات وتسهيلات كثيرة ـ ان يضع كتابا عن الرحلات فى الشرق يختلف كثيرا عما يمكن توقعه من الرحالة الآخرين اذ انه قضى سنين عديدة فى آسيا وتكلم عدة لغات آسيوية بطلاقة ، وكانت له معرفة دقيقة باخلاق الناس وعاداتهم . وعليه سيجده القارىء انه يصف البلدان التى اقام بها كأحد ابنائها وان ملاحظاته التى هى وليدة خبرة طويلة ليست واردة كاكتشافات جديدة بل كحقائق مثبتة ، وانه كثيرا ما يلمح الى امور تدل على دقة تحسسه بشعور الاهلين ومعرفته بعاداتهم ولكنها قد تبدو غامضة او قد لا يكترث لها اولئك الذين ليس لهم من سعة الاطلاع فى الموضوع ما كان عليه هو ؛ ولو قدر له ان يعيش وينشر مؤلفه بنفسه لزاد عليه الشيء الكثير ـ مادة وفائدة ـ باضافة تفاصيل وافية من معلوماته الشخصية ومن اتصالاته اليومية بافراد الشعب .

اما الان فان الاوراق التى ننشرها تتضمن على الاخص تلك التفاصيل التى دونها فى حينها خشية افلاتها عن ذاكرته ، مع العلم ان كل قيمتها تتوقف على صحتها ، ولعله كان يختصر هذه التفاصيل بعد ان يكون قد اتم خارطته التى نجده بالغ التدقيق من اجلها فيما دونه من ملاحظات عن الاراضى والامور الاخرى ذات العلاقة الجغرافية .

ومع ان هذين المجلدين لا يسجلان من الوقائع التى حدثت اثناء الرحلة

بالقدر الذى كان يكون لو انهما صدرا عن المؤلف مباشرة فأن ذلك لا يعدمهما الفائدة التى ترجوها الناشرة حيث انهما يأتيان على وصف بلاد قلما وطأها الاوروبيون ولم يسبق ان وصفها احد من الانكليز على ما يعتقد. فبهذا الاعتبار وحده - ان لم يكن بسواه - نأمل ان يجد القارىء فيهما ما يفيه حقه.

واذا ما سئل عن السبب فى عدم نشر هذا الكتاب قبل الان فلا يسع الناشرة ان تجيب باكثر من القول بأن السبب انما يرجع الى ظروف عديدة مما لا ترى حاجة لاشغال القراء بسردها ، وانها بشعورها العميق بعدم استطاعتها النهوض بهذه المهمة فقد ظلت مدة طويلة منكمشة عن محاولتها فى النشر ولم يشجعها ويحثها الا عطف الاصدقاء العديدين ومساعداتهم ، ولا يسعها اغفال ذكر واحد منهم هو السير آر. اج. انكلس فهو بالرغم من كثرة مشاغله لم يبخل عليها بما سهل مهمتها ، وكان دائم الاستعداد لابداء المعاونة والمشورة لها.

كلابهم - Clapham ٥ آذار سنة ١٨٣٦

موجز حياة المستر ريج

ولد (كلوديوس جيمس ريج) كاتب هذه اليوميات فى ۲۸ آذار سنة ۱۷۸۷م. على مقربة من (ديجون) من اعمال (بورغوندى). فى فرنسة. ثم نقل وهو طفل الى (بريستول) فى انكلترا حيث قضى السنوات الاولى من حياته برعاية والديه .

ولقد ظهرت عليه امارات النبوغ الفائق منذ نعومة اظفاره. فانه عندما كان يجتاز مراحل الدراسة الاعتيادية ويتلقى مبادىء اللغتين اللاتينية واليونانية على احد اقربائه، ساقه حب الاطلاع الموفق الى تعلم لغات عصرية متعددة بدون معلم، مستعينا بالكتب. ولما بلغ الثامنة او التاسعة من عمره عثر على مخطوط عربى فى خزانة احد وجهاء (بريستول) ، فساورته رغبة شديدة بالوقوف على هذه اللغة . فكان ذلك الحافز الذى وجه الرغبة الملحة التى كانت تختمر فى ذهنه ، والتى وطد العزم على تحقيقها اكثر من اى شىء اخر ، وهى ميله الى دراسة العلوم الشرقية التى كان لها الاثر الفعال فى توجيه حياته المقبلة . فقد تمكن بواسطة كتاب فى النحو ، وقاموس وبعض المخطوطات التى استعارها من المستر (فوكس) فى (بريستول) من اتقان هذه اللغة العسيرة قراءة وكتابة وان يتخاطب بها بسهولة وذلاقة كبيرتين، حتى اذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، قاده هذا التوجيه الفكرى الراسخ فى ذهنه الى المثابرة على تحقيقه بلا ملل ، والى ان يحرز تقدما بارزا فى لغات شرقية عديدة بينها العبرية والكلدانية والفارسية والتركية .

وحدث فى تلك الاثناء انه بينما كان يتنزه ذات مساء فى (كينكزدن) من ضواحى (بريستول)، ان صادف رجلا تركيا، فساقته الرغبة باختبار مدى اتقانه النطق باللغة التركية بحيث يفهمها منه احد ابنائها ، فتقدم من الرجل وخاطبه بهذه اللغة. وبعد ان اظهر التركى سروره ودهشته من ان يخاطب بلغته على غير انتظار، اعلم محدثه بانه يحترف التجارة وانه الان فى مأزق لان السفينة التى كان يركبها قد تحطمت عند شواطىء ارلندة . والى جانب سرور المستر ريج بنجاح تجربته اراد ان يظهر امتنانه من هذا الغريب فانبرى لاسعافه .

ثم لم تلبث براعته الفائقة فى هذا المسلك الدراسى غير المطروق ان اثارت اهتمام معارفه الاقربين . فقدمه المستر ـ الدكتور فيما بعد ـ (مارشمان) الى

الدكتور (رايلند) وهو يومئذ من اعلام رجال اللاهوت فى ذلك البلد • فتمكن بذلك من انماء علاقته بعدد اخر من رجال الادب فى (بريستول) ، كان اخصهم المستر (فوكس) الذى ظل المستر ريج يذكره على الدوام بود خاص وعرفان الجميل ، والذى بفضل ارشاده والرجوع الى مكتبته تمكن من احراز التقدم الذى بلغه يومئذ فى دراساته الشرقية المحببة •

على انه بالرغم من استلفاته الانظار الى اتجاه دراساته غير الاعتيادية، فانه لم يكن اقل مباشرة على تهذيب نفسه بوجه عام • فقد امتاز فى هذا العهد المبكر من حياته بخلته العالية السخية الابية، والهمة التى اظهرها فى شتى صفات الرجولة والكمال•

وقد دله الاتجاه الذى انصرفت اليه دراسته مثلما دل غيره على ان الهند ستكون خير مرسح لاظهار نبوغه فى المستقبل• ففى عام ١٨٠٣ تمكن احد اصدقائه المهتمين به من التوسط له لدى شركة الهند الشرقية لتعيينه طالبا حربيا فى الخدمة العسكريه• وعندما اعلمه هذا الصديق بتعيينه، مبديا اسفه لانه لم يتمكن من ان يجد له منصبا خيرا من هذا، اظهر المستر ريج شدة اعتماده على نفسه فاندفع يقول بسرور : «دعنى فقط اصل الى الهند، واترك الباقى الى»•

هكذا اصبح ميدان العمل الواسع الذى كان حتى الان يجول فى مخيلته، وبالاحرى بعيدا عنه، فى متناول يديه• وراحت تملأ ذهنه كل الخيالات النيرة التى تلوح عادة لانظار آمال الشباب، فاسرع الى لندن، وراجع دائرة الهند لاتمام الاجراءات الضرورية التى كان عليه ان يتمها قبل تسلمه مهام وظيفته•

وفى هذه الفترة كتب (روبرت هول) المشهور الرسالة التى نقتطف منها العبارات التالية الى صديقه (السير جيمس ماكنتوش) ، حيث يظهر فيها اكثر من اى شىء اخر ما كان المستر ريج يتركه فى نفوس المتصلين به حتى فى هذه الحقبة المبكرة من حياته•

« شيفورد ، بالقرب من كەمبرج ٣٠ كانون الاول ١٨٠٣ » •

« اسمحوا لى قبل ان اختتم رسالتى ، ان الفت اهتمامكم الى سيد شاب يدعى المستر ريج ، الذى سيرافقكم فى نفس الاسطول الذى سيقلكم الى بومباى ،

كطالب حربى » .

« انه من اهالى (بريستول) وقد كان لى السرور بمقابلته مؤخرا ، وهو شاب فوق المستوى المعتاد ، تمكن بدون مساعدة او بالقليل منها من تعلم لغات الشرق ، فاتقن العبرية والكلدانية والفارسية والعربية وبالاضافة الى اللاتينية والفرنسية مع بعض الوقوف على اللغة الصينية التى بدأ يحل رموزها وهو لما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره » .

« وهو اليوم فى السابعة عشرة من العمر ، تساوره رغبة ملحة للسفر الى الهند ليتاح له الانغمار فى ميله الشديد الى الاداب الشرقية ، ولذلك وبعد مشاق عديدة تمكن بالاخير من الحصول على منصب طالب حربى » .

« انه شاب من عائلة كريمة ، ذو شخصية وحذق عظيمين . ويدعى كما بينته لكم على ما اظن المستر ريج . واذا وجدتم من المناسب منحه شرف التعرف اليكم ، فانى على ثقة من انه سوف لا يجعلكم تندمون على عطفكم وتلطفكم » .

هذا وبينما كان المستر ريج ينتظر فى دائرة الهند، اذ اتجهت انظار المستر - والان السير تشارلس ويلكنس - المعروف بعلو كعبه فى لغات الشرق الى مقدرة هذا الطالب العسكرى فى اللغات الشرقية، فقد وجده بعد الاختبار اعظم مما كان يتوقع، وان حذقه كان غير اعتيادى اذا قورن بالوسائل التى تمكن بها من تعلم هذه اللغات. ولذلك فانه لم يلبث ان عرضه على اعضاء مجلس الادارة كشاب يحمل من النبوغ الفريد النادر مما يجعله يشرف اية مهمة يضطلع بها تحت رعايتهم.

وبناء على هذه التوصيات التى عرضت بشأن مؤهلات المستر ريج فقدعينه المرحوم (ادوار بارى) بتقدير كلى لوظيفة كاتب تحريرات فى مؤسسة بومباى وهكذا تغيرت وجهته من الخدمة العسكرية الى الخدمة المدنية فى تلك المصلحة . ولاجل ان يتمكن من اتقان اللغتين العربية والتركية اللتين سبق ان احرز فيهما تقدما غير منتظر، الحق بسكرتارية المستر (لوك) الذى كان يومئذ فى طريقه الى مصر كقنصل عام للحكومة البريطانية. وقد حفظت له وظيفته خلافا لما اعتادته الشركة خلال اضطلاعه بهذه المهمة كمن قد تسلمها فعلا فى الهند .

اقلع المستر ريج فى مطلع عام ١٨٠٤ على ظهر سفينة شحن تدعى هندستان للالتحاق بالمستر (لوك) فى البحر الابيض المتوسط ولكن النار شبت فى هذه السفينة لسبب ما فى خليج (روماس) فى ايطاليا فألتجأ المستر ريج الى شاطىء (قاتالونيا) مع الملاحين، ومن هناك استأنف سفره الى (مالطة) بمعاونة

صديق له من (بريستول) ينتمي الى فرقة الارتجافيين* • وبعد اقامة طويلة في ايطاليا اتقن اللغة الايطالية الجميلة وانكب على دراسة الموسيقى ، ذلك الفن الذي ظل يتوسع به في كل ادوار حياته بكل حماس ولذة •

ولقد لاءمت ايطاليا اتجاهه الفكري اكثر من اي قطر آخر زاره، فكان يرجع بذاكرته اليها بسرور عظيم• وحدث ان توفي صديقه المحبوب المهذب المستر (لوك) قبل تسلمه مهام منصبه ، وعندئذ سمح مجلس المدراء للمستر ريج ان يتجه في سفرته الوجهة التي يظنها اكثر موافقة لبلوغ هدفه المنشود ، مسترشدا باراء المستر (ويلكنس) القيمة ، وعلى هذا فقد توجه من (مالطة) الى (استانبول) مارا في طريقه بجزائر يونانية عديدة •

وحدث انه بينما كانت السفينة التي استقلها مارة بالارخبيل، ان ظهرت ذات يوم سفينة ذات مظهر مريب تتجه نحو السفينة التي كان هو احد ركابها• فحسبوا انها كانت سفينة قرصان فاتخذت كافة التدابير الدفاعية ضدها • لكنهم وجدوا عند اقترابها منهم انها كانت سفينة تجارية تركية فانتقل اليها المستر ريج مع جماعة اخرى• وقبل ان يمر عليه وقت طويل فوق سطح السفينة شاهد تركيا انيق البزة يتطلع اليه بامعان ، الامر الذي استرعى انتباهه• واخيرا تقدم التركي منه وقال له :-

- سيدي، اني اعرفك•

فاجاب المستر ريج : - وانا ايضا قد رأيتك قبل هذا •

اعقب ذلك تفاهم تبين منه انه هو ذلك الرجل الذي كان قد اسرى المستر ريج الى نجدته في (بريستول) •

وقد اقام المستر ريج مدة في استانبول ومنها انتقل الى ازمير• وهناك انخرط في مدرسة مع اترابه من الشبان الاتراك لاتقان خصائص اللغة التركية ودقائقها قراءة وكتابة، والتعمق في اكتساب مختلف انواع العلوم الاسلامية• وقام خلال هذه المدة بسفرات مهمة متعددة في آسيا الصغرى، ثم عين معاونا للكولونيل (ميسيت) القنصل العام البريطاني بمصر ، فسافر الى الاسكندرية

*الارتجافيون : - زمرة بروتستانتية محصورة في سكان انكلترة واميركا ، يعتقدون بانزال الوحي عليهم اثناء القيام بفروضهم الدينية ، وهم تهيبا لاقتبال الوحي يرجفون اجسامهم ، ولذلك اطلق الافرنسيون عليهم اسم Les Trembleurs ، ونعتهم الانكليز بـ The Quakers - المترجم -

بطريق (قبرص) .

واستفاد من اقامته بمصر فى اتقان اللغة العربية ولهجاتها المختلفة ، وفى الوقت نفسه كان يقضى اوقات فراغه بالتمرن على الفروسية واستعمال السيف والرمح، وهما السلاحان اللذان اشتهر المماليك باستعمالهما. فلا غرابة ان يكتسب شخص مثله جمع الى صفات الرجولة اخلاقا رقيقة وذكاء متوقدا مع خفة فى الروح ، احترام واهتمام الكولونيل (ميسيت) اكثر من كل معارفه الاخرين من الافرنج، وان يشعر جميعهم بالاسف لفراقه عندما انتهت المهمة التى زار من اجلها مصر، وازفت ساعة رحيله عنها.

ولقد قرر ان يكون سفره الى الخليج الفارسى برا ، فبارح مصر متنكرا بزى مملوك ، فتجول فى معظم انحاء فلسطين وسوريا . واعتمادا على براعته بلغة الترك واطوارهم، خاطر بزيارة دمشق عندما كانت معظم قوافل الحجاج محتشدة فيها بطريقها الى مكة ، فدخل المسجد الكبير وهذا عمل كان يومئذ يكلفه حياته لو انكشف امره بانه مسيحى.

وكان مضيفه، وهو تركى مستقيم، قد سحرته شخصيته وبذل قصاراه لاقناعه على البقاء بدمشق عارضا عليه مصالحه والزواج من ابنته . ومن حلب قصد البصرة عن طريق ماردين وبغداد، ومنها اقلع الى بومباى فبلغها فى اوائل ايلول سنة ١٨٠٧ .

ولقد مر بنا ان القس المحترم (روبرت هول) كان قد قدم المستر ريج للسير (ج. جيمس ماكنتوش) بصورة خاصة فى الوقت الذى كان يتوقع ان يسافر معه الى الهند بنفس الاسطول. فلما تغيرت وجهة المستر ريج، اتيح له قبل اقلاعه فى السفينة (هندستان) بمدة وجيزة ان يزور السير (جيمس) فى مقره يومئذ فى (رايد) انتظارا للاقلاع الى الهند . وقد نشأت بين الاثنين مناسبات حتى ان المستر ريج اقام عنده عند وصوله الى (بومباى) . اما نتيجة هذه العلاقة فيمكن استخلاصها من عبارات السير (جيمس) نفسه فى رسالة بعث بها الى احد اصدقائه :ـ

«لعلك تتذكر ما كنت قد طالعته فى الصحف فى سنة ١٨٠٣ ان المستر بارى مدير ادارة الشركة الحالى كان قد اسند منصب كاتب تحريرات الى شاب يدعى ريج لمجرد تقرير قدمه اليه المستر (ويلكنس) عن براعته العجيبة

باللغات الشرقية ، لا لغرض خاص او لمجرد معرفة شخصية . وقد سافر هذا الشاب كمعاون للمستر (لوك) الذى كان قد عين قنصلا فى الاسكندرية ، ومنذ ان توفى هذا، سافر المستر ريج فى معظم انحاء آسيا التركية باتجاهات عديدة، وهو مجهز بقلمه وبعين فنان وبالشخصية والشجاعة اللتين يحتاج اليهما المسافر فى بلاد « بربرية » .

فلقد اكتسب من البراعة بلغات الشرق وعاداته قدرا، بحيث تنكر بزى تركى من كرجستان واقام بدمشق عدة اسابيع بين الالوف المؤلفة من الحجاج الذين كانوا بطريقهم الى مكة، دون ان يرتاب به اشد المتعصبين المسلمين يقظة وشراسة .

وقد قدمه الى صديقى المستر (هول) وتلقيت رسائل عديدة منه ، فدعوته لزيارتى فى بيتى فاقام معنا عند وصوله هذه الجزيرة (بومباى) فى اوائل ايلول سنة ١٨٠٧ .

ولقد وجدنا فيه اكثر مما كنا نتوقع ، وشعرنا بأن اطلاعه العجيب على العلوم الشرقية لا يمثل الا جانبا صغيرا من مؤهلاته. فقد وجدته اديبا بارعا فى اللغات الكلاسيكية، يجيد الفرنسية والايطاليه قراءة وكتابة كأحسن المثقفين من ابناء هاتين اللغتين. وقد جمع الى شخصيته القوية ومظهره وسلوكه كمالا وظرفا فى جميع تصرفاته ؛ ورجولة مع ذكاء ودعابة ومشاعر . وقد بلغ من سرورى بعلمه وبراعته ما جعلنى اعده من الفلاسفة، وحسبته جديرا بان يرشح للانتماء الى «هيكل الحكمة» من جانب صديقنا (دوغلاس ستيوارت) . وعندما سافرت الى (ملبار) تركته فى بيت صديقى الفيلسوف (ارسكين) المنهمك بوضع كتابه «فلسفة الفكر البشرى». فلما عدت من سفرى وجدت ان هذا الطالب فى الفلسفة يرغب فى ان يكون صهرى . ومع انه كان غير مثر وحتى بدون وظيفة ، فلا اخالك تشك فى اننى وافقت على زواجه من ابنتى الكبرى بكل امتنان . لانه استطاع هذا ان يكتشف بفطنته ويقدر بصفاته شعور هذه الفتاة الفياض وتواضعها وطهارتها وطبيعتها الرقيقة تلك الصفات التى اؤمل ان تجعل منها مصدر سعادة له مدى الحياة .

وبعد ذلك بقليل دعت المصلحة العامة الملحة تعيين مقيم لنا ببغداد ، فاجمعت آراء الكل على ان المستر ريج هو الشخص الوحيد الجدير بهذا

المنصب ، وقد تم تعيينه فعلا . وبذلك حصل على الترفيع مرتين قبل بلوغه الرابعة والعشرين من عمره لمجرد كفاءته ، ولقد تزوج من ابنتي وسافرا معا الى بغداد» .

اما في رسالة الى المستر هول في حوالي ذلك الوقت فقد قال : ـ

«لقد اصبح ريج الذي رشحته لي صهري ، وانه لصهر لا يتردد اشد الابوين حبا لابنتهما عن وضع مقدراتها في يده» .

اما ريج فبعد احتفاله بزواجه في ٢٢ كانون الثاني ١٨٠٨ بمدة وجيزة سافر الى مقر مقيميته التي كانت تضم بغداد والبصرة ، فاقام ببغداد حيث مقر الباشا ، وحيث يمكنه موقعها المتوسط من ادارة شؤونه السياسية مع الباشوية والحصول على انباء ما كان يدور في اوربا في تلك الحقبة المليئة بالحوادث التي كان ينتظر ان يغزو فيها (نابوليون) انكلترا والهند ؛ وبفضل روحيته العالية وبعد نظره في الشؤون السياسية ووقوفه التام على العادات الاهلية ووافر كرمه ، اكتسب بسرعة فائقة الاحترام العميق من الحكومة المحلية والاهلين معا .

وجريا على ما كان معتادا في الحكم التركي نشبت في عهد مقيميته ثورات حكومية وحصلت تبديلات بين الباشوات وقد تمكن المستر ريج بفضل اخلاقه العالية ان يمنح الحماية في بيته لكثير ممن كانت حياتهم في خطر من جراء الانقلابات السياسية ، في ظروف غير اعتيادية احيانا ، وحتى انه كان من حين الى اخر يمنح هذه الحماية لعائلات الجانب المخذول التي ما كانت لتتخلص لولا هذا الملجأ الذي لم يكن يجرأ احد على خرق حرمته . وكان من دواعي ارتياحه ان يرى حوله مفعول عدالته الرسمية هذه ، وحسن نيته ؛ واحيانا لم يكن الناس يقيمون وزنا لوعود باشواتهم واعيانهم الا اذا كانت مدعومة بضمانه .

ولقد قضى حوالي ست سنوات ببغداد ولا رفيق اوروبي له سوى زوجه والمستر (هاين) جراح المقيمية الذي كان معاونا له ايضا . فكان يقضي اوقات فراغه من اعماله الرسمية في تتبع دراساته المحببة له . فجمع المصادر اللازمة لكتاب في تاريخ باشوية بغداد واحوالها الجغرافية والاحصائية ، وابتدأ بجمع مجموعته من المخطوطات الشرقية التي لم يدخر من اجل جمعها مجهودا او نفقات . وقد نشرت فهارس هذه المجموعة كما كانت عليها في حينه في بضعة

اعداد من مجلة «مناجم الشرق» التي كانت تصدر في (فينا) وفيها اصدق برهان على مدى النجاح الذي احرزه في مباحثه.

وقد نظم كذلك مجموعة غنية بالانواط والمسكوكات والمجوهرات والاحجار المنقوشة التي عثر عليها في بابل ونينوى وطيسفون وبغداد. وقام برحلة الى بابل لدراسة آثار تلك المدينة القديمة، فجمع نتاج ملاحظاته في كتابه «مذكرات في خرائب بابل» الذي طبع لاول مرة في (فينا) في مجلة «مناجم الشرق» ومن ثم تم طبعها في انكلترا . وقد وصفت مجلة «ادن بەره رفيو» هذا الكتاب حق الوصف بقولها : «انه رواية متواضعة وصريحة في مشاهداته خلال زيارته القصيرة، ويكفيها اعتبارا ما تمتاز به من خلوها من التحقيقات التي لا طائل تحتها او التخمينات الارتجالية ، اذ كانت خير برهان على براعة المؤلف في العلوم الشرقية والكلاسيكية ، وابتعاده عن الادعاء الفارغ والمباهاة الفظة ، وذلك نتيجة طبيعية لعلمه المكين» .

وبعد سنة ١٨١٦ بقليل اصدر الميجر (رەنل) صحيفته المسماة « اركيئولوجيا » فنشر فيها ملاحظات في تخطيط بابل القديمة مستندة على مشاهدات واكتشافات كلوديوس جيمس ريج ، وقد اظهر الشك في بعض آرائه . وعلى هذا قام المستر ريج برحلة اخرى الى بابل لدرس مواقعها ، فنشر في لندن عام ١٨١٨ كتابه «مذكرات ثانية في بابل» تحتوي على تحقيقات في المقارنة بين الاوصاف القديمة لبابل والآثار التي لا تزال تشاهد في مواقعها مبنية على «ملاحظات الميجر رەنل» . وقد ايد في مذكراته الثانية هذه ، استنتاجاته الاولى واضاف فهرسا قيما في عاديات بابل مزينا بالصور المحفورة ، فقوبلت هذه المذكرات الثانية باهتمام عظيم في جميع انحاء اوربا لانها القت ضوءا جديدا على هذا الموضوع الذي يهم كل قراء التاريخ المقدس او القديم.

وفي اواخر عام ١٨١٣ اضطر المستر ريج لاسباب صحية ان يترك مقيمية بغداد في رعاية معاونه المستر (هاين) ويسافر الى استانبول برفقة زوجه، فقضى فيها مدة بضيافة صديقه المستر والآن (السير روبرت ليستن) الذي كان يومئذ سفيرا لبريطانيا لدى الباب العالي. وقد حملته اعتبارات شتى في اوائل عام ١٨١٤ على اطالة سفرته مارا ببلغاريا وبلاد الافلاق والمجر حتى (فينا) ، ومن ثم وصل الى باريس، وكانت جيوش الحلفاء قد احتلتها توا.

كانت تلك الايام مليئة بالاحداث المثيرة • وباستثناء سفرة قصيرة قام بها الى (بازل) حيث التقى مع صديقه وحميه السير (جيمس ماكنتوش) فانه بقى في هذه العاصمة (باريس) حيث اتيحت له الفرص لمقابلة الشخصيات المهمة التي كانت محتشدة فيها في تلك الايام الخطيرة ، الى ان رجع (بونابارت) ففرق شملهم وجعلهم يعودون كل الى جيشه او بلاده •

وبطريق عودته الى بغداد مر المستر ريج (بسويسرا) و (ميلان) ومنها الى (البندقية) حيث ودع مكرها البلاد الايطالية الوداع الأخير • فعبر الى (تريه سته) ومنها سافر بطريق (كورفو) والارخبيل الى استانبول ، وقد مر بطريقه على عدد من تلك الجزائر فنزل اليها لارتياد موقع (طرواده) القديم ومن (استانبول) عاد الى (بغداد) بطريق آسيا الصغرى ، مارا قدر المستطاع بطريق يختلف عن طريق سفره الى اوربا ، وموجها اهتمامه بصورة خاصة الى جغرافية تلك البلاد سيما مواقع سلاسل الجبال • ولما قارب وادي الرافدين زار أديرة السريان والكلدان وجمع المعلومات عن العنصر الغريب المعروف باليزيدية •

وبعد وصوله مقر مقيميته واصل تتبعاته القديمة، وتمكن خلال السنوات الخمس التي قضاها فيها، من اضافة مخطوطات جديدة الى مجموعته بحيث اصبحت اوسع واثمن مجموعة يمتلكها اي شخص في الشرق • وقد ساعدته اقامته ببغداد على هذه المزية الفريدة • وتوسعت كذلك مجموعته من المسكوكات اليونانية والبوثية والساسانية والاسلامية كما توسعت مجموعته من المجوهرات والأحجار المحفورة سيما الاسطوانات البابلية • وقد قام خلال هذه المدة برحلته الثانية الى بابل ، وقد مر بنا ذكرها • وفي سنة ١٨٢٠ اصبحت حالته الصحية تفتقر الى تغيير بيئته (الهواء) فقام برحلة الى كردستان وهي الرحلة التي تضمنت هذه اليوميات حوادثها •

وخلال عودته قام بزيارات متعددة للكنائس المسيحية في مواطن الكلدان سيما تلك التي لم تتح له مشاهدتها في سفراته السابقة فتمكن من ان يجمع ويضيف الى مكتبته عددا من النصوص السريانية والكلدانية القديمة القيمة للكتاب المقدس عدا مخطوطات نادرة اخرى •

وكان قد وطد العزم في هذه الايام على السفر الى بومباي حيث عينه حاكمها الكلي الاحترام (ماونت ستيوەرت الفنستن) في منصب خطير، لكنه حدث

ان هوجمت دار المقيمية هجوما عنيفا لا مبرر له بأمر الباشا او بتحريضه. وقد نجح المستر ريج فى صد هذا الهجوم بقوة السلاح، وتوجه الى البصرة فبقى فيها حتى دفعت التعويضات المطلوبة.

وفى اثناء انتظاره تعليمات حكومته استغل الوقت فقام بسياحة الى (شيراز) ومنها توجه لزيارة خرائب (برسه بوليس) وضريح (كورش) وبقايا العاديات الاخرى الموجودة فى تلك الضواحى.

وفى اثناء اقامته فى (شيراز) تفشت فيها الهيضة بشدة نشرت الرعب فى العالم. فخلال بضعة ايام مات ستة آلاف شخص من سكان البلدة البالغ عددهم نحو الاربعين الفا، وعلى أثر ذلك هجر البلدة اميرها مع افراد عائلته وكبار اعيانها ووجهائها ومن استطاع ذلك من ابناء الطبقة الفقيرة.

اما المستر ريج فقد ابى ان يبارح المدينة. وانما بذل كل جهده لتسكين روع الاهلين واسعاف المرضى والمحتضرين. وكان يقضى اوقاته اياما عديدة فى زيارتهم واسعافهم بالادوية الضرورية. وقد اسعدت قلبه مشاعر الاعتراف بالجميل والشكر التى اظهرها له الناس الذين انبرى لاسعافهم.

لكن هذه الآفة كانت قد انشبت اظفارها فيه ايضا. وظهرت عليه اعراض الهيضة عند خروجه من الحمام فى ٤ تشرين الاول، وعلى الرغم من العناية والاسعافات التى اجريت له قضى نحبه فى صبيحة اليوم التالى ٥ تشرين الاول ودفن فى (جهان نما) فى احدى الحدائق الملكية التى كان يقيم بها فى تلك الايام، وحيث نصب له تمثالا تخليدا لذكراه.

هذه هى خلاصة نشاط هذا الرجل الفذ، ناهيك عن نبوغه ومزاياه وتحصيله، ففى العبارات القصيرة البليغة التى اجملت فيها شخصيتان مثل (روبرت هول) و (السير جيمس ماكنتوش) سيرة هذا الرجل ما يغنى عن تكرار سردها باقلام من هم دونهما مقدرة، اذ قلما تعرف اليه احد الا واصبح مأخوذا باخلاقه مسرورا بمزاياه عدا تقديره لمؤهلاته الواسعة الفريدة. فقد كانت السرعة التى تعلم بها اللغات والفنون ترجع الى غريزة كامنة فيه اكثر من المجهود الذى بذله. ففى الحقبة الاخيرة من حياته باشر مسح البلاد العربية التابعة للدولة التركية بنفس السهولة التى حصل بها على معلوماته الرياضية العالية التى كانت تفتقر اليها مهمته.

وكان العرب والاتراك معا يقدرون فيه علمه الواسع في آدابهم. اما بين جماعة اصحابه فكان دائما قطب الدائرة المحبب ، اذ كان على استعداد للانخراط في كل ملاهيهم بدون كلفة ، تعجبه الروح المرحة والفكاهة ، فكان بمثابة الروح في الـولائم ، ويغلهـر اكثر الحاضـرين سعـادة وهو اصغرهم سنا .

كان ملتهب العاطفة ، نشطها . وكان بين الاصحاب الخل الوفي الصميم . كان شديد الحب لزوجته، وكان الشعور الديني فيه عميقا. وكانت شخصيته القوية تمكنه من قيادة مرؤوسيه والسيطرة عليهم . وقلما بلغت الاخلاق البريطانية الشهرة التي بلغتهـا في بلاد االعرب التركية في الايام التي تقلد فيها منصبه ببغداد.

ولقد كانت مذكراته عن بابل الاثر الوحيد الذي نشره في حياته ، عدا بعض المقالات التي نشرها في مجلة «مناجم الشرق». وقد خلف مخطوطات عديدة سيما يومياته المسهبة عن طريق سفره من بغداد الى استانبول ، وهي السفرة الوحيدة ـ على ما يظن ـ التي رافقته بها السيدة ريج على ظهر جواد ، كذلك خلف يومياته عن سفره من استانبول الى (فينا) ومن باريس عائدا الى بغداد، عدا يومياته في كردستان المطبوعة في هذا الكتاب واوراق اخرى عديدة في موضوعات متفرقة .

اما مجموعته القيمة من المخطوطات الشرقية والمسكوكات والعاديات، فقد اشتراها البرلمان البريطاني لمنفعة المتحف البريطاني حيث هي الان .

ولسنا بحاجة للتحدث في موضوع صفحات هذا الكتاب فانها تتحدث عن نفسها. انها يوميات شخص فذ عن بلاد جديدة. نقول جديدة وان وجدت اخبار متفرقة عنها في يوميات الرحالة الآخرين الذين مروا عفوا وسراعا ببعض اقسامها. اما هذه اليوميات فانها تلقي ضوءا جديدا ساطعا على جغرافية كردستان وعادات اهلها. وان النقاط الجغرافية التي تم التحقيق فيها لما تساعد على تعيين المواقع ليس في مختلف نواحي كردستان فحسب وانما في الاصقاع المجاورة لهذا الجزء من آسيا .

ومما لا شك فيه ان المستر ريج كان يرغب في نشر مباحثه وملاحظاته عن سفرته هذه* . فقد استعان فيها بكافة وسائل المسح الفني، وعين في يومياته

بكل دقة النقاط التى كانت توجه سيره.ولو كان الاجل يمتد به لنشر هذه الاوراق على الجمهور بنفسه ، فلربما كان يضفى عليها الشيء الكثير من الوان مخيلته ، ويضيف اليها الكثير من المعلومات التى كانت تزدحم فى دماغه ورهن اشارته، والتى لم يذكرها فى يومياته فى حينها.

وفى الوقت نفسه فانه بفضل جمعه بين دقة التخطيط وبراعة القلم بالاضافة الى المسح الفنى ، فقد انجز فى بعض اقسام كردستان التى كانت عبارة عن مجموعة مجهولة فى احسن خرائطنا، المهمة التى لم يتم انجازها بصورة متقنة فى اى قسم اخر من آسيا. وهذا ابداع مشرف له وللبلاد التى ينتسب اليها.

(*) جاء فى رسالة كتبها (جيمس بيلى فريزر) الى (وليم ارسكن) فى بومباى ، مؤرخة، شيراز ٦ تشرين الاول ١٨٢١ اى بعد وفاة المستر ريج بيوم واحد، العبارات التالية :ـ

«عثرت بين الكتب التى وجدتها لديه على دفاتر تعليقات ومذكرات لا اشك فى انها ذات قيمة كبيرة. فهى تحتوى على ملاحظات جغرافية وفلكية نحن بامس الحاجة اليها فى خرائطنا الايرانية. وجميع هذه التعليقات والملاحظات عن كردستان اما ان تكون موجودة بين هذه الاوراق او انها بين الاوراق التى خلفها فى (بوشهر). وانها ستكون خسارة لا تعوض للجمهور فيما لو فقدت . ولقد حرصنا على ان لا تفلت منا او تضيع علينا اية قصاصة من الورق كانت فى مكتبه، فقد تحتوى هذه الوريقات على مذكرات لها قيمتها . وقد سمعت المستر ريج يقول مرة ، ان كافة الخرائط الموجودة حاليا عن هذه الجزء من آسيا مشحونة بالاغلاط، وعبر عن رغبته فى ان يتم مشروع خرائطه الخاصة التى كان يريد ان يضعها بنفسه . ونجد كذلك نسخة جد قيمة من الكتابات المسمارية الموجودة فى (برسه بولس) كلها مكتوبة بخط يده . وقد كان عازما على ارسال نسخة منها الى الاستاذ (غروتيفند) فى المانيا» .